

## عربية القرآن نحو المدونة المغلقة

حسن عبد الغني الأسدي<sup>1</sup>

1 قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة كربلاء، كربلاء، العراق

\*المؤلف المراسل: [hasan.j@uokerbala.edu.iq](mailto:hasan.j@uokerbala.edu.iq)

### الملخص

رکن من أركان مهمة تؤسس لاعتماد (منهج المدونة المغلقة) طريقاً لفهم القرآن، وللقول بتفرد البناء اللغوي لهذه المدونة أنّ اللغة القرآنية لغة لها اعتبارات معينة تنفرد بها عن العربية، حتى أضحت به مستوى من اللغة انماز عن مستوى اللغة الذي عرفه العرب زمن نزول القرآن. فوضعوا لها تسمية خاصة وصلتنا في طائفة من النصوص التراثية، هي (عربية القرآن)؛ وهي تسمية يتداولهم إياها أرادوا تقرير تلك الخصوصية عند المتلقين. وقد لمسنا فيما أنجزنا من بحوث في ضوء منهجنا المعتمد حقيقة ما تدلّ عليه هذه التسمية. زيادة على ما أنجزه كثيرون ممن اهتموا بإظهار لغة القرآن الكريم، ومحاولة رصد خصائصها التركيبية وبنيتها التعبيرية، لكنهم كانوا دون أن يلاحظوا هذه التسمية وما يتبعها. ونحن في هذا البحث نحاول أن نقف على موارد هذا الاصطلاح ودلالته تعصيدياً لدعوتنا إلى تأسيس علوم لغوية خاصة بالقرآن الكريم في ظلال منهج المدونة المغلقة.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، عربية القرآن، منهج المدونة المغلقة، النحو القرآني.

## The Arabic of the Qur'an towards the Closed Blog

Hassan Abdul Ghani AL-Assadi<sup>1</sup>

<sup>1</sup>Department of Arabic, College of Education for Human Sciences, University of Karbala, Karbala, Iraq

\*Corresponding author: [hasan.j@uokerbala.edu.iq](mailto:hasan.j@uokerbala.edu.iq)

### Abstract

One of the important pillars that establishes the adoption of (the closed blog approach) as a way to understand the Qur'an, and to say that the uniqueness of the linguistic structure of this blog is that the Qur'anic language is a language that has certain considerations that are unique to it from Arabic, to the point that it has become a level of language that is distinct from the level of language that the Arabs knew at the time of the revelation of the Qur'an. They gave it a special name that has reached us in a group of heritage texts, which is (the Arabic of the Qur'an). It is a name that, by circulating it, they wanted to convey that specificity to the recipients. In the research we have accomplished in light of our adopted approach, we have seen the truth of what this name indicates. In addition to what was accomplished by many who were interested in exposing the language of the Holy Qur'an, and trying to monitor its syntactic characteristics and expressive structure, but they were without noticing this name and what follows it. In this research, we are trying to find out the sources of this term and its meaning in support of our call to establish linguistic sciences specific to the Holy Qur'an under the closed Mudawwana approach.

**Keywords:** The Holy Quran, Arabic Quran, Closed Code Method, Quranic Grammar.

## المقدمة

إننا في سبيل الإفادة من الصفات الذاتية التي يتسم بها القرآن الكريم، ولاسيما صفة التعاضد أو التظافر الدلالي الدالة عليها آية التدبر ومقولة: بعضه يشهد على بعض - نعلم آلية منهجية هي (المدونة المغلقة) لفهم القرآن الكريم لضبط منهجيّ بمحدّدات تنظيرية وخطوات إجرائية تكون منهجاً لتفسير القرآن بالقرآن نفسه؛ وهي خطوة على ما أحسب بعد التتبع والتقصي نُطرح لأول مرة بضوابط محدّدة مستقاة من الآيات القرآنية نفسها واعتبارات تؤسسها الحقيقة التدوينية للقرآن. لذا فقد سعت منذ سنوات عدّة لضبط هذا الخطوات وتنفيذها عبر بحوث متعلقة بطائفة من الألفاظ القرآنية<sup>(1)</sup>. ويمثل القول بخصوصية اللغة العربية المستعملة في القرآن الكريم حجر أساس قوياً للانطلاق في الدعوة إلى خصوصية منهج فهم القرآن، وألا يتمّ فهمه على وفق اعتبارات متكليمة العربية الفصحاء أو على وفق القواعد التي أقرها اللغويون.

## المبحث الأول: منهج المدونة المغلقة

منهج لفهم النصوص المكتوبة، ولاسيما تلك التي تمتلك استقلالاً تدوينياً واضحاً، وتكمن خصيصة هذا المنهج في أنّ فهم المدون يكون من المدون نفسه، فتكون المدونة بألفاظها وتركيباتها، وبمقاطعها ووقفاتها وموضوعاتها مادة المنهج والاستدلال؛ يعول عليها الباحث في إظهار ما يريده منها. إنّ غلق المدونة ينزع بالباحث إلى الإفلات من الدوافع الفكرية أو العقيدية التي تجعل قراءته للمدونة قراءة متحيّزة قائمة في ضوء تلك الدوافع. وبهذا الغلق المنهجيّ يتمّ حفظ النصّ المقدّس من أنّ يخضع إلى تلك الدوافع؛ بل لعل الأمر على النقيض من ذلك؛ إذ الهدف الأول أن يعرف ماذا أراد الله بقرآنه عبر قرآنه نفسه؛ فتكون نتائج المنهج ممثلة لقراءة من داخل المدون أو المسطور تعتمد تدوينه اللفظي بكلماته وآياته وسوره؛ وهوية تلك الكلمات وسماتها التي تُكسب اللفظة موقعها الوظيفي والدلالي في سياق الآيات عموماً. فمنهج المدونة المغلقة سيكون منهجاً فاعلاً للتحرّز من الأفكار المسبقة التي صاحبها تفسير القرآن الكريم؛ أو أن يُفسّر القرآن بغير نفسه وإن كان البديل تفسيراً بالأثر أو غيره؛ أو اعتماداً على آراء لمفسرين آخرين.

(1) لمزيد من التفصيل ينظر كتابنا: منهج المدونة المغلقة مباحث تأسيسية لتفسير القرآن بالقرآن، مطبعة الرافد، قم المقدسة، 2017م.

فالمنهج المقترح رؤية للنظر والتأمل في المكتوب نفسه، لا يستبطن غلقاً معرفياً بل الغلق عنده غلق منهجي لتحقيق الهدف المرجو من تفسير القرآن بنفسه.

إن مشروعية غلق المدونة يُعزز بتوجه مهم تبرزه أحاديث عدة، من نحو ما ورد عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) من قوله: ((...إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزَلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ، فَاَعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ، فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ))<sup>(1)</sup>. وقوله: ((إِنَّ الْقُرْآنَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ فَلَا تُكْذِبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ))<sup>(2)</sup>.

وعن علي أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله في القرآن: ((...وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ))<sup>(3)</sup>. فوصف (إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزَلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا)، و (وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ) يظهران سمة من سمات القرآن الكريم، وهي سمة التعاضد والاستغناء وهما السمتان الأكثر بروزاً في القول بتفسير القرآن بالقرآن!

### الضوابط المنهجية لتفسير القرآن بالقرآن

يمكن أن نجمل أبرز الخصائص التي يفترضها منهج المدونة المغلقة لتفسير القرآن بالقرآن، وهي تمثل صدى لتمييز الاستعمال اللغوي في القرآن الكريم عن سائر استعمال للعربية عند أهلها، ونحن نجمل هنا أبرز تلك الضوابط<sup>(4)</sup>:

1- الوقوف على المعنى اللغوي الأولي: وهو المعنى الأصل الذي ترجع إليه المعاني الأخرى (اللغوية والاصطلاحية) للفظه. والقرائن هي التي تحدّد أنّ الاستعمال القرآني توقف عند المعنى الأولي أو لا.

2- واحدية الدلالة القرآنية: اللفظة القرآنية: لكل مفردة قرآنية دلالة خاصة بها تحملها أينما أستعملت في القرآن الكريم؛ فلا

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل: 305/11.

(2) كنز العمال: 1 / 619 ح 2861، وينظر: أصول التفسير والتأويل: 160.

(3) نهج البلاغة: 221-222.

(4) حاولت أن أختصر هذا الموضوع وللتفصيل، ينظر كتابنا: منهج المدونة المغلقة مباحث تأسيسية لتفسير القرآن بالقرآن، صدر 2017.

ترادف بين لفظة وأخرى، ولا تعدد دلالي ولا مشترك لفظي، ولا تضاد<sup>(1)</sup>.

3- السياق اللفظي وسياق المدونة: السياق المعتمد في هذا المنهج هو السياق اللفظي (اللغوي)؛ لأنه السياق الذي تكوّنهُ المدونة؛ وهو السياق المعتمد. والسياق القرآني سياق متّسع يشمل ما نصلح عليه بـ(سياق المدونة)، وهو حصيلة السياقات في كل المواضع التي أستخدمت فيها اللفظة أو التركيب؛ مع ارتباطه بسياقات أخرى بحسب الاقترانات مع الألفاظ والتركيب الأخرى على نحو يشبه المسارات الشبكية التي تتسجم مع تصوّر الوحدة الكلية للقرآن.

4- تتبع موارد استعمال اللفظة أو التركيب المعين واحصاؤها كلّها؛ هي الخطوة الأولى لإجراء المنهج؛ ومن ثم استخراج النتائج المتعلقة بتحديد أوجه استعمالها ليتسنى لنا الوقوف على دلالتها في هذه الموارد دون غيرها.

5- السياق اللفظي وليد اللفظة المحورية (المركزية) وقد كان للتعويل على هذه المركزية أثر فاعل في بناء تصوّراتنا عن تكوين الجمل وامتدادها وكيفيات ذلك، فكما وجدنا أنّ هذه المركزية في صناعة الجملة لها أثر فاعل في تكوين الجمل، وامتدادها؛ فكذا الحال في النظر الدلالي فالهيمنة للكلمة المركزية يكون بمستوييه: التكويني (البنائي) والدلالي. فالسياق اللفظي هو وليد الألفاظ لا العكس<sup>(2)</sup>. وتتجلى مركزية اللفظة نحوياً بقدرتها على استدعاء ما يناسبها لبناء جملتها عبر فتح أو تكوين المجالات النحوية لتشغلها الألفاظ المناسبة للتعبير عن الوظائف النحوية المختلفة على نحو يجعل المسند متحكماً بالألفاظ التي تظهر في إثره<sup>(3)</sup>.

6- اللفظة القرآنية تمثل بؤرة دلالية تتجمّع حولها طائفة من الألفاظ التي تتسجم معها دلاليًا. فلتلك اللفظة يخضع السياق؛ على حين أنّ النظرة السياقية السائدة ترى أنّ اللفظة ليس لها معنى إلا عبر الألفاظ التي تظهر في سياقها.

(1) وهذا بتقديري ميزة للقرآن الكريم واتقان ودقة تتناسب والاعجاز؛ وليس الحال نفسه في اللغة العربية، بمعنى أن اللغة يقع فيها مثل هذا الاشتراك والتضاد وغيره.

(2) هذا هو التصور الدلالي الشائع في أعقاب النظرية السياقية ومجمل النظريات الدلالية في خضم الظاهرة الوصفية في البحث اللغوي المعاصر.

(3) وقد نبّها إلى ملامح لقول بهذه القدرة التكوينية في المقولات الفعلية عند سيبويه، ويوازي ذلك نظرية للنحو العربي هي نظرية فتح المجالات النحوية، ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه: 154 وما بعدها، وينظر: المفهوم التكويني لنظرية العامل النحوي عند سيبويه، تحليل وتوجيه/ أ.د. غالب المطلبي ود. حسن عب الدغني الأسدي/ مجلة المورد العراقية/ ع3 / 1999م. (بحث).

7- اللفظة القرآنية هي اللفظة بهياتها أو بصيغتها اللفظية التي استعملها القرآن الكريم، بلواحقها وسوابقها المتصلة بها أو بنائها الصرفي؛ فهي مختلفة عن اللفظة المعجمية أو اللفظة في عموم الدرس اللغوي.

8- استعمال اللفظة القرآنية له خصوصيات تعبيرية أو خطابية خاصة، ودلالاتها قد لا تخضع لأصل اشتقاقها أو جذرها المعجمي فلكل صيغة خصوصيتها الدلالية في القرآن الكريم، بمعنى أن اللفظة في منهج تفسير القرآن بالقرآن هي كتلة لفظية وكتابية، تمتلك خصوصية قد لا تشركها فيه أقرب مشتقات مادتها المعجمية إليها. ننوّه هنا إلى ألفاظ الصلاة، والحج والزكاة، والجهاد وغيرها (وقد عرف ذلك تراثيًا بالألفاظ الإسلامية)<sup>(1)</sup>. وفي هذا السياق تندرج لفظة الساعة<sup>(2)</sup> باستعمال قرآني فريد، مختلف عن (ساعة) وتكون (الأحاديث) بمعنى آخر لا تعنيه لفظة (أحاديث).

9- بالنظر للخصوصية المنهجية وضعنا اصطلاحات نراها دالة على الخصيصة الاستعمالية والخصيصة الاشتقاقية من نحو (المفرد اللفظي والمفرد الصرفي، وكذا في الجمع: الجمع اللفظي والجمع الصرفي).

10- لما كان منهجنا يمتاز بسمة الاستعمال القرآني المدون، وحدود القرآن بين الدفتين، فإن المنهج لا يعتمد روايات أسباب النزول، فهي مرويات خارجية لا من داخل القرآن.

11- تقسيم الآيات القرآنية على مكّية ومدنيّة غير معتدّ في منهج المدونة المغلقة؛ لأنه تقسيم خارجي مقترن بسبب النزول. وليس من إشارة قرآنية تفيدنا في إحداث هذا التقسيم. على أن هذا التقسيم يمكن أن يكون من نتائج المنهج عبر إدراكنا للبيئات الاجتماعية التي يرسمها لنا الاستعمال القرآني نفسه وما تتبعه من مسالك أو أنساق تكتسب طابع الخصوصية فيمكن إفرازها مكّية ومدنيّة وغير ذلك.

12- المنهج يحتكم في فهم القرآن على الوحدة الأساسية لحمل المعنى، وهي اللفظة فهو لا يعتني بدلالة الحروف المفردة

(1) من الكتب المتفرقة في هذا الجانب كتاب: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت322هـ).

(2) ينظر: الساعة في القرآن الكريم دراسة دلالية في ضوء منهج المدونة المغلقة، د. حسن عبد الغني الأسدي، مجلة كلية التربية

عدد خاص بالمؤتمر العلمي الثامن عشر لكلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2011م. (ص11-ص23) ونشر بمجلة والقلم

ع24س2012، 6م (ص24-ص34).

ولا بدلالة الحروف المقطعة.

13- وإن ما أشارت إليه بعض الأحاديث من أن للقرآن ظهراً وبطناً وأنّ للبطن بطناً الى سبعة أبطن؛ يمكن أن نفهمه في إطارنا التّديني المغلق بإمكانية القرآن لإحداث شبكة دلالية ولفظية قرآنية تتربط بها مكونات هذه المدونة كدلالة عدد مرات استعمال اللفظة أو موقعيتها، وربطها برقم السّورة وعدد آياتها أو نحو ذلك ما يظهر بعض الخصوصيات القرآنية؛ وذلك من مثل ما يذكر في الاعجاز الرقمي في القرآن الكريم. وعدد مرات الاستعمال وربطها بدلالة اللفظة. وكذا إذا كانت من التوسّع في مصاديق الآية على نحو أنّ معنى الآية ينطبق على جوانب أخرى لم تكن ملحوظة سابقاً، ومن الراجح أن يكون ذلك في طائفة من الآيات لا كلها..

المدونة القرآنية (بمالها من خصوصية لغوية) هي نصّ عربيّ الألفاظ إلهيّ النّسج والدّلالة، وفي تراكيب ونسج آياته وسوره ما كان موضعاً للتّحدي المؤديّ حتماً لما نريد قوله من خصوصية العربية فيه. ويبدو أنّ من جملة هذه الخصوصية طرائق النّسج بنحو قد لا يكون مستعملاً سابقاً، ولم تألفه الأسماع؛ ولعلّ أوضح مثال نقدّمه ههنا نظام الآيات والسور وهي من طرائق ترتيب النصوص والموضوعات على نحو لم تُعلم الى الآن علته الحقيقيّة. ومن ذلك تلك المكونات الحرفية (الحروف المقطّعة) التي تصدّرت في طائفة من السور لتكون جزءاً من آياته التي لفتت الأنظار. زيادة على الجانب الدلاليّ الذي صاغ فيه القرآن دلالات جديدة لم تكن معهودة!

إنّ منهجنا لمقاربة هذا المدونة هو محاولة تأسست على (دلالة اللفظة القرآنية)؛ وذلك لأنّ الألفاظ هي الوحدات الدلالية الصغرى في هذه المدونة، فهي أول ما يتمّ للمتلقّي إدراكه من معنى الآية، لتحقيق قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء، الآية: ٩).

وهي هداية متعدّدة الجوانب، أولها أن تهديه تلك الآيات إلى الطّريقة الصّحيحة للفهم بمستوياته المختلفة (المفردة

والتركيبية والمقاصد).

## المبحث الثاني: عربية القرآن والنصوص الدالة على خصوصيتها

إن المنهج الذي يؤسس رؤيتنا لكيفية فهم القرآن الكريم وهو (غلق المدونة) تُعززه طائفة من النصوص المهمة التي وثقت خصوصية العربية التي نسجت بها آيات القرآن الكريم نسجا غصا طريا على مرّ السنين، بما تجمل بنور الهداية وتكامل شجرة الطاعة. فهي لغة اشتملت على البيّنات والهدى وعدم الاختلاف، وحملت الإعجاز والتحدّي الإلهي لكل معاند. لقد تمّ رصد طائفة من الاستعمالات التي توقف عندها المفسرون، ((والممتنع لكتب التفسير يجد العديد من الإشارات التي تبين خصوصية لغة القرآن، وتستوقفه بعض عبارات المفسرين الدالة على تلك الخصوصية، من قبيل أسلوب القرآن ولغة القرآن وعادات القرآن وعرف القرآن واصطلاح القرآن واستعمال القرآن ومعهود القرآن...))<sup>(1)</sup>. وقد اشتهر من ذلك قديماً ما كتبه أبو حاتم الرازي في كتابه (الزينة في الألفاظ العربية الإسلامية) وأغلب ما ذكره من الكلمات التي أكسبها القرآن دلالات جديدة كالإيمان والصلاة والحج والزكاة والكفر والجهاد وغيرها كأسماء الله..

ولقد زاد من المعاصرين الطاهر بن عاشور هذا التوجّه عمقاً في أثناء تفسيره للقرآن الكريم فأطلق مصطلح "مبتكرات القرآن" وذلك في المقدمة العاشرة من مقدمات تفسيره، وهي مقدمة في إعجاز القرآن، وعنده أنها ((ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهوداً في أساليب العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة))<sup>(2)</sup>.

قال ابن عاشور: ((وَالْقُرْآنُ مُبْتَكِرَاتٌ تَمَيَّرَ بِهَا نَظْمُهُ عَنِ بَقِيَّةِ كَلَامِ الْعَرَبِ. فَمِنْهَا أَنَّهُ جَاءَ عَلَى أُسْلُوبٍ يُخَالِفُ الشِّعْرَ لَا مَحَالَةَ، وَقَدْ نَبَّهَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ الْمُتَقَدِّمُونَ، وَأَنَا أَضْمُّ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ أُسْلُوبَهُ يُخَالِفُ أُسْلُوبَ الْخَطَابَةِ بَعْضَ الْمُخَالَفَةِ، بَلْ جَاءَ بِطَرِيقَةٍ كِتَابٍ يُقْصَدُ حِفْظُهُ وَتِلَاوَتُهُ، وَذَلِكَ مِنْ وَجْهِهِ إِعْجَازِهِ إِذْ كَانَ نَظْمُهُ عَلَى طَرِيقَةٍ مُبْتَكِرَةٍ لَيْسَ فِيهَا اتِّبَاعٌ لِطَرِيقِهَا الْقَدِيمَةِ فِي الْكَلَامِ.. وَمِنْهَا أَنْ جَاءَ عَلَى أُسْلُوبِ التَّقْسِيمِ وَالنَّسْوِيرِ وَهِيَ سُنَّةٌ جَدِيدَةٌ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ أَدْخَلَ بِهَا عَلَيْهِ طَرِيقَةَ التَّبْوِيبِ وَالتَّصْنِيفِ وَقَدْ أُوْمَأَ إِلَيْهَا فِي (الْكَشَافِ) إِيمَاءً. وَمِنْهَا الْأُسْلُوبُ الْقَصَصِيُّ فِي حِكَايَةِ أَحْوَالِ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَفِي تَمَثِيلِ الْأَحْوَالِ، وَقَدْ كَانَ لِذَلِكَ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ عَلَى نَفْسِ الْعَرَبِ إِذْ كَانَ فَنُّ الْقَصَصِ مَقْفُودًا مِنْ أَدَبِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَّا

(1) عربية القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن: 174.

(2) التحرير والتنوير: 1/ 104، وينظر: عربية القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن: 185.

نادراً، كان في بعض الشعر كآبيات النابغة في الحية التي قتلت الرجل وعاهدت أخاه وغدر بها، فلما جاء القرآن بالأوصاف بُهت به العرب كما في سورة الأعراف [44] من وصف أهل الجنة وأهل النار وأهل الأعراف: ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار إناخ وفي سورة الحديد [13]: فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورِ الْأَيَاتِ<sup>(1)</sup>.

مع صياغته ما حكاها من كلام من حكى عنهم على نحو الإعجاز الذي يليق به، وخصوصيات كثيرة تظهر في نظام جملة، ونظام الآيات ونظام السور، مما لم يُعهد عن العرب مثله. ومن الأمثلة التي نوردتها نحو<sup>(2)</sup>:

- 1- وأحسب أن لفظ الجاهلية من مبتكرات القرآن، وصف به أهل الشرك تنفيراً من الجهل، وترغيباً في العلم.
  - 2- واعلم أي لم أقف على استعمال (ذات بين) في كلام العرب فأحسب أنها من مبتكرات القرآن.
  - 3- و(وضع الأوزار) تمثيل لانتهاء العمل فشبهت حالة انتهاء القتال بحال وضع الأحمال أو المسافر أقاله، وهذا من مبتكرات القرآن.
- ومنها على المستوى التركيبي قال فيه:

- 1- ((وَأَحْسَبُ أَنَّ وَصَفَ اللَّهِ بِصِفَةٍ وَاسِعٍ فِي الْعَرَبِيَّةِ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ))<sup>(3)</sup>.
- 2- ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (آل عمران 128) قال: ((وَلَمْ أَظْفَرْ، فِيمَا حَفِظْتُ مِنْ غَيْرِ الْقُرْآنِ، بِأَنَّهَا كَانَتْ مُسْتَعْمَلَةً عِنْدَ الْعَرَبِ، فَلَعَلَّهَا مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ))<sup>(4)</sup>.
- 3- ((وَهَذَا التَّمْثِيلُ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ))<sup>(5)</sup> في قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ﴾ (الأعراف 176).
- 4- ﴿إِذْ يُعَشِّبُكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ (الأنفال 11) "وَجَعَلَ يَنْتَقِلُ مِنْ إِحْدَاهَا إِلَى الْأُخْرَى بِوِاسِطَةِ إِذِ الزَّمَانِيَّةِ، وَهَذَا مِنْ أَبْدَعِ التَّلْخُصِ، وَهُوَ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ فِيمَا أَحْسَبُ. وَلِذَلِكَ فَالْوَجْهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الظَّرْفُ مَفْعُولًا فِيهِ))<sup>(6)</sup>.

(1) التحرير والتنوير: 120/1.

(2) عربية القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن: 185-186.

(3) التحرير والتنوير: 284/3.

(4) التحرير والتنوير: 83/4.

(5) التحرير والتنوير: 177/9.

(6) التحرير والتنوير (9/ 278).

5- وقال في قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾ (يوسف26): ((وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا التَّرْكِيبَ مِنْ مُتَبَكَّرَاتِ الْقُرْآنِ))<sup>(1)</sup>.

### عربية القرآن:

في التفاتة مهمة للغة التي امتاز بها القرآن الكريم الآخذة بالعقول والمسامح؛ أن وجدنا مصطلحا خاصا خص هذه اللغة وهو (عربية القرآن) ونحسب أن هذه النسبة أو الإضافة إلى القرآن، هي إبراز لعربية متميزة عن العربية المتكلمة التي كانت سائدة زمن الوحي؛ ونحسب أنه لو كان المقصود من عربية القرآن كونها العربية المعروفة وعربية قريش لما كانت هناك جدارة لهذه النسبة، وكان وجودها لغواً! وهو أمر لا يستقيم في ضوء سياقات استعمال هذا التركيب مما سنقف عنده فيما يأتي:

1- عن ((جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ بِعَرَبِيَّتِهِ وإياكم والنبر فيه (يعني الهمز). وقال الصادق (عليه السلام): الهمز زيادة في القرآن إلا الهمز الأصلي مثل قوله عز وجل: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (النمل25)، ومثل قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ...﴾ (البقرة72))<sup>(2)</sup>.

ففي قوله (صلى الله عليه وآله): تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ بِعَرَبِيَّتِهِ تصريح بهذه النسبة بين العربية والقرآن الكريم تضعنا أمام هذا المستوى اللغوي الخاص. ولو لم يكن هذا المراد لكان قوله: تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ كافياً في ذلك.. فلما جاء القيد بِعَرَبِيَّتِهِ فهما أن العربية القرآنية عربية تمتاز بمستواها وتتفرد. وقد يظن الظان أن ذلك ممكن أن يكون عند الكلام مع غير العرب ممن يريدون أن يتعلموا القرآن.. فنقول لا دليل على ذلك من الحديث الأنف الذكر زيادة على أن غير العرب في أيام الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) كانوا قلة، وكانت العربية لغتهم.

وعلى هذا فإن نتعلم القرآن بما فيه من عربية هو الواجب. ما يستتبع ذلك من استقلالية النظرة إلى الاستعمال

(1) التحرير والتنوير (12/ 250)

(2) معاني الأخبار: 345.

القرآني للعربية واستقلالية تعلم القرآن عبرها، فلا يختلطن علينا ذلك.

وفي ضوء هذا الحديث الشريف تظهر جدارة ما طرحناه في المدونة المغلقة بأن نتجنب حمل قواعد العربية التي قررها اللغويون العرب وفقاً لكلام العرب لتكون مدخلاً لفهم القرآن؛ فعلياً بدلاً من ذلك صياغة قواعد خاصة للغة القرآن مما استعمل فيه؛ وبذا سنرسم طريقاً لاستكشاف ابداعية اللغة القرآنية بالوقوف على الآليات المعتمدة فيها والأنظمة القارة فيها.

2- ((.. عن يحيى بن يعمر أن أبا ذر (رضوان الله عليه) قال: تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ فِي الْقُرْآنِ كَمَا تَتَعَلَّمُونَ حِفْظَهُ))<sup>(1)</sup>.

فأبو ذر (رضوان الله عليه) ربط بوضوح على طريق التشبيه فكما يتعلم المتعلم حفظ القرآن فعليه أن يتعلم العربية فيه، وهو توجيه واضح، ولفت للنظر إلى العناية بها كما يعنى بالحفظ.. زيادة على ما فيه من دعوة بأن تكون عربية القرآن هي ميدان التعلم وبتعبيرنا أن مدار الدرس اللغوي والتعليمي هو هذه اللغة.

3- في مسألة جمع القرآن الذي كان بأمر الخليفة الثالث بتكوين لجنة يرأسها زيد بن ثابت وهو أنصاري من بني النجار، فقد ورد في صحيح البخاري: ((4984 - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَأَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: فَأَمَرَ عُثْمَانُ، زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْخَارِثِ بْنَ هِشَامٍ، أَنْ يَنْسُخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ لَهُمْ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي عَرَبِيَّةِ الْقُرْآنِ فَارْتَبِعُوا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا»))<sup>(2)</sup>.

4- ((فقال عُثْمَانُ للرهط القرشيين الثلاثة: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنْ عَرَبِيَّةِ الْقُرْآنِ فَارْتَبِعُوا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا أَنْزَلَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَفَعَلُوا))<sup>(3)</sup>.

فمع استعمال إذا (الشرطية الطرفية) الدالة على وقوع الاختلاف يأتي قوله (عربية القرآن) بإضافة العربية إلى القرآن دالاً على معرفتهم بمفارقة الاستعمال القرآني للغة العربية المتداولة.. ويتضح من هذا القول أن عربية قريش ليست

(1) ايضاح الوقف والابتداء: 23.

(2) صحيح البخاري 6/ 182.

(3) جامع الصحيحين بحذف المعاد والطرق: 412/3.

هي عربية القرآن بل عربية مختلفة. ويترجح أن لسان قريش لم يكن هو اللسان الذي صيغت عليه هذه اللغة القرآنية، بل كانت بتوجيه الخليفة لفضّ الخلاف الذي سيقع (بدلالة إذا) على ذلك بين أعضاء اللجنة (القرشيين والأنصاري زيد) في ضبط الآيات الذي سببه التشجيع الفاحش على أن يُقرأ القرآن بقراءات متعددة آلت إلى وقوع الفتن بين المسلمين؛ ولا سيما في مناطق الغزوات التي يتلاقى بها القراء من مختلف القبائل... ولا يخفى أن اختيار لسان قريش قد يخفي نزعة قبلية للخليفة مناصرة لقومه. مع أننا نرى أن القرآن الذي كان في الأصل مكتوباً ومجموعاً بحسب ما نعتقد وما قررناه في بعض مباحثنا القرآنية<sup>(1)</sup>، أو كان في أوراق متفرقة كما قالوا في العصب والرقاع والجلود، فالأحرى أن يُعتمد في ضبط الاختلاف بالعودة إلى ذلك المكتوب.. ومع عدم ذلك ووضع لهجة قريش حكماً لئيشير إلى محاولة لسحب هذه اللغة القرآنية، والادعاء أنها لغة قريش. وهو ما نراه الآن ماثلاً على مرّ العصور الإسلامية إلى العصر الحديث ولو كانت العربية القرآنية متطابقة مع العربية المتداولة سواء القرشية أو العربية في المدينة لما كان هناك مسوغ لقول الخليفة هذا.

فهذه النصوص الأربعة هي وثائق صريحة ونصّ من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن بعض أصحابه على أنّ هناك هذا المستوى المختلف للعربية في القرآن الكريم. ومن هنا كانت الدعوة إلى أن نخص هذه اللغة بعلوم خاصة متناظرة مع العلوم المتعلقة باللغة العربية لدى الناس مما سنفصل فيه في المبحث الثالث.

#### وثائق داعمة لتفرد العربية القرآن:

عملنا على متابعة النصوص التراثية التي نستشعر منها أن تصبّ في السياق نفسه لخصوصية اللغة القرآنية التي لن ندركها وحقيقة ما تخبرنا به إلا بأخذ الاعتبار وضع تصورات خاصة بها.. ومن تلك الوثائق:

1- ما جاء في كتاب نفحات الأزهار عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: ((سمعت حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: هبط علي جبرئيل فقال: يا محمد إن لكلّ شيء سيّداً سيّد البشر آدم وسيّد ولد آدم أنت، وسيّد الروم صهيب، وسيّد فارس سلمان، وسيّد الحبش بلال، وسيّد الشجر السدر، وسيّد الطير النسر، وسيّد الشهور رمضان، وسيّد

(1) منهج المدونة المغلقة: 18-22.

الأيام يوم الجمعة، وسيد الكلام العربيّة، وسيد العربية القرآن، وسيد القرآن سورة البقرة (1).

فقوله (عليه السلام) : وسيد العربية القرآن، ولا سيما بعد أن تلا قوله: وسيد الكلام العربية، الذي يعزز أن المفارقة كانت واضحة بين مستويين لغويين وتباينهما (العربية وعربية القرآن). مع ما تتضمنه سيادة العربية من كونها أفضل ما يتكلم به البشر وقمة ما يصل إليه انتاجهم الكلامي وتفكيرهم اللغويّ.

2- منزلة التفاضل للقرآن، بمنزلة المفاضل بين الخالق والمخلوقين فعن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ((فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)).

ولا يخفى ههنا أننا كما لا يمكن أن نأتي إلى الخلق ليكونوا انعكاسا لطبيعة خالقهم بصفاتهم المحدودة فكذا لا نقيس كلامه تعالى على كلامنا فالعكس صحيح. ولا يخفى أن جملة من هذا التفاضل يتعلق بالجانب اللغوي للقرآن.

3- صفات القرآن في المعاني والهداية: فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله في صفة القرآن: (( ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجًا لَا يَخْبُو تَوْقُدُهُ، وَبِحَرًّا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَا جَأٌ لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ، وَشِعَاعًا لَا يُظْلِمُ صَوْوُهُ، وَفُرْقَانًا لَا يُحْمَدُ بُرْهَانُهُ، وَتَبْيَانًا لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَشِفَاءٌ لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وَعِزًّا لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقًّا لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ.

فَهُوَ مَعْنَى الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ(2)، وَيَتَابِعُ الْعِلْمَ وَيُحُورُهُ، وَرِيَاضَ الْعَدْلِ وَعُدْرَانَهُ، وَأَثَافِي(3) الْإِسْلَامِ وَتَبْيَانَهُ، وَأُودِيَّةَ الْحَقِّ وَغِيْطَانَهُ(4). وَبِحَرٌّ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ، وَعُيُونٌ لَا يُضِيبُهَا الْمَاتِحُونَ(5)، وَمَنْهَلٌ لَا يَغِيْضُهَا(6) الْوَارِدُونَ، وَمَنْازِلٌ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وَأَعْلَامٌ لَا يَغْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ، وَأَكَامٌ(7) لَا يَجُورُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ.

جَعَلَهُ اللهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ لَطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ

(1) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار 61/30.

(2) بحبوحة المكان: وسطه.

(3) الأثافي جمع أنفية: الحجر يوضع عليه القدر.

(4) الغيطان: المكان المظمن من الأرض.

(5) لا ينضبها: لا ينقصها. الماتحون جمع ماتح: نازع الماء من الحوض.

(6) المناهل: موضع الشرب من النهر. لا يغيضها: لا ينقصها.

(7) أكام جمع أكمة: التل.

ظُلْمَةً، وَحَبْلًا وَثِقًا عُرُوتُهُ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذُرُوتُهُ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وَسَلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَهُدًى لِمَنْ اتَّكَمَّ بِهِ، وَغُدْرًا لِمَنْ انْتَحَلَهُ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَقَلْبًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ، وَمَطِيئَةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَّ، وَجَنَّةً لِمَنْ اسْتَلَّامَ<sup>(1)</sup>، وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى، وَحَدِيثًا لِمَنْ رَوَى، وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى<sup>(2)</sup>.

4- قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنْبِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَقْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ، وَلَا تُكْشِفُ الظُّلْمَاتُ إِلَّا بِهِ))<sup>(3)</sup>.

5- ((وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ [فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَقَفُّهُوا فِيهِ] فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسَنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ))<sup>(4)</sup>. فأحسن الحديث دالة على أن اتقانه اللغوي قد بلغ مرتبة لا يدانيه أي كلامه ليقترن به.. فكيف تأتي بقواعد صيغت على كلام العرب ثم نفهم بها القرآن.

6- عن الإمام علي (عليه السلام) أيضاً: ((إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَمْ يَعْطُ أَحَدًا بِمَثَلِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ وَسَبَبُهُ الْأَمِينِ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقُلُوبِ وَبِنَابِيعِ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جَلَاءَ غَيْرُهُ))<sup>(5)</sup>.

7- ((فَانظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ: فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَإِنَّكُمْ بِهِ وَاسْتَضِيءَ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا نَبَسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرُضُهُ، وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَأَيُّمَةِ الْهُدَى أَنْزَرَهُ، فَكَلَّ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ))<sup>(6)</sup>.

فالكلام وإن نحى منحى الدلالة والقصد في صفة القرآن والاستضاءة بنوره إلا أن تلك الصفة والاستضاءة لا يتم لنا إظهارها والافتداء بها إلا أن نعرف لغة هذا الكتاب العظيم.

(1) استلأم: اتخذه لأمة وهي الدرع الواسع.

(2) نهج البلاغة، 242-243. معاني الألفاظ في هذا النص مأخوذة من هامش المحقق.

(3) نهج البلاغة: 70.

(4) نهج البلاغة: 191.

(5) بحار الأنوار، ج2، ص312.

(6) نهج البلاغة: 148.

يضاف على ما تقدّم أن الإعجاز الذي يتصف به القرآن الكريم قد يكون جزءاً كبيراً منه بسبب من خصوصية اللغة التي انتظمت عليها الآيات الكريّات. وبما يتضمن من مفردات وصياغات وتركيبات لغوية تعبر عن المراد بما لا يفوقه شيء، ممّا هو غير معهود لدى متكلمي العربية في وقته ولا بعد نزوله؛ لهذا تبرز الحاجة إلى بذل الجهد في تقديم منهج جديد لتفعيل السّمة البارزة في النصّ المقدّس، وهي كونه كلاماً يفسّر بعضه بعضاً. ثمّ إنّ الصيغة التدوينية التي بدأ بها القرآن والصيغة الأدائية اللتين رافقتا القرآن؛ تُتيحان للمتلقّي الواعي أن يتعامل مع النصّ على نحو أكثر اتقاناً ممّا لو كان النصّ غير مكتوب، أو أنه مكتوب بلغة اندثرت.

يجب أن ينظر هذا المنهج إلى القرآن الكريم بوصفه منجزاً إلهياً وإبداعاً يفوق القدرات البشرية، ووصل إلى منزلة الإعجاز، وبهذا يتجاوز في بحثه إخضاع القرآن لعلم اللغة، ووجهات نظر علمائه؛ ويقود هذا النظر إلى وضع قواعد وأصول خاصة بلغة القرآن، ولا تكون تلك القواعد والأصول إلا من داخل القرآن.

وهناك مسارات وجوانب ومواقف رصدناها تعزّز الخصوصية التي حملتها الآيات القرآنية المعبرة عن (عربية القرآن) من ذلك:

1- في حديث حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة قال: جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال له: اقرأ عليّ فقرأ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ {النحل/90} فقال: أعد، فأعاد، فقال: والله إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، إنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمعذب وما يقول هذا بشرٌ<sup>(1)</sup>.

فقد تاه الوليد بن المغيرة في أن يقع على وصف دقيقة لما سمع من القرآن فكانت ألفاظه ناطقة ببراعة هذه اللغة التي لا ينبغي أن تقرن بأقل منها. ففهمها متوقف على التوجه نحو والبحث فيها.

2- يمكن أن يعمّ مفهوم الألفاظ الإسلامية، وتحديداً الألفاظ القرآنية كثيراً من الألفاظ التي لم تذكر عند المعنيين بالاستعمالات القرآنية التي تقرد بها القرآن صياغة أو دلالة، وأبرز هؤلاء المعنيين أبو حاتم الرازي (ت322هـ) في كتابه الخطير والبديع

(1) بحار الأنوار: 211/17-212.

في منحاه (الزينة في الألفاظ العربية الإسلامية). وهو كتاب لم ينل حظّه من النظر والتأمل، وهو يفيدنا فائدة جليّة في أنّ القرآن ابتدع لألفاظه دلالات جديدة لم تكن من قبل. من هنا فما دمنا أقررنا بالاستعمال الدلاليّ الجديد لانسجامه مع قوانين العربية، فلا مانع من وقوع استعمالات جديدة على مستويات لغوية أخرى. وقد استقبل أبناء هذه اللغة هذا الاستعمال بالقبول والثناء، وإن لم يكونوا من اتباع الإسلام.

3- إنّنا على وفق مبدأ الإبداع القرآنيّ أو ما يمكن أن نسميه (الارتجال القرآني) في كلّ مستوياته وهو الذي عبّر عنه الطيّب ابن عاشور بـ(مبتكرات القرآن) وقد تقدّم ذكر ذلك. فهناك صياغات جديدة: صرفيّة أو تركيبية غير مسبوقه استعملها القرآن، ولم يعرفها العرب، وحسبنا ههنا أن ننوه الى ابداع قرآنيّ نظميّ أو على مستوى النصّ أو شيء قريب منه وهو نظاميّ الآية والسورة. وهو نظام في التكوين اللغوي لم يكن له نظير.

4- يفيدنا كتاب الزينة، ومعه نظرات أخرى قديمة ومعاصرة في تأكيد أنّ القواعد التي صيغت للغة العربية، منها ما لا ينسجم مع لغة القرآن، وأن الأحكام التي وضعها اللغويون لكلام العرب الذي رصدوه، في القرآن ما يخالفها؛ وأنّه على هذا الأساس مما يؤسف له أن يُحكم على بعض استعمالات القرآن الكريم بالشذوذ ونحو ذلك من الخروج على قوانين العربية.

5- على الرغم من أنّ تلك الدراسات لها مسارها اللغويّ الخاصّ، إلا أنه يمكن أن تكون مفيدة في منهجنا هذا، وتكون شاهداً بحثياً على أنّ المنهج الذي سارت عليه الدراسات القرآنيّة، ومنها التفسير فيه من الهنات الكثير، ونرى أنّ ممارسة غلق المدونة ستكون فاعلة في التخلص من تلك الهنات.

### الذخيرة اللغوية القرآنية:

الذخيرة اللغوية: هي مجموعة النصوص اللغوية التي تمثل قاعدة لرصد كل الاستعمالات اللغوية القديمة والمعاصرة ... وقد عرّفها ديفيد كرسنال بأنها: ((مجموعة من البيانات اللغوية أكانت نصوصاً مكتوبة أم خطابات منطوقة يمكن اعتمادها نقطة انطلاق في وصف اللسانيات أو إثبات فرضيات لغوية وأضاف جون سنكلير أنها مجموعة نصوص لغوية

واقعية وطبيعية اختيرت لوصف حالة أو حالات من اللغة<sup>(1)</sup>.

ويبدو أن بعض الأحاديث والأقوال نحت نحو الاكتفاء بالقرآن الكريم مما قد نفسره في جهة من جهات هذا الاكتفاء أن تكون لغة القرآن كافية لنا في التواصل. ومن تلك الأحاديث:

1- وذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الفتنة يوماً فقلنا: يا رسول الله كيف الخلاص منها فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): بكتاب الله، فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ من كان بعدكم وحكم ما كان بينكم وهو الفصل وليس بالهزل ما تركه جبار إلا قسم الله ظهره ومن طلب الهداية بغير القرآن ضلّ وهو الحبل المتين والذكر الحكيم والصرط المستقيم، وهو الذي لا تلبس على الألسن ولا يخلق من كثرة القراءة ولا تشبع منه العلماء ولا تنقضي عجائبه<sup>(2)</sup>.

2- عن معاذ بن جبل قال: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سفر، فقلت: يا رسول الله حدثنا بما لنا فيه نفع فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إن أردتم عيش السعداء، وموت الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والظل يوم الحرور، والهدى يوم الضلالة، فادرسوا القرآن فإنه كلام الرحمن، وحرز من الشيطان، ورجحان في الميزان<sup>(3)</sup>.

فهذه الخصوصية في بناء المعرفة، ولا سيما المعرفة التي تقود نحو النجاة من الشيطان ترجح خصوصية البناء اللغوي والعقائدي للقرآن وكذا البناء العلمي. كما تصبّ في بناء الذخيرة اللغوية القرآنية لينتفع بها دارسوا القرآن بوجوه شتى.

3- وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن إن أحداً أُعطي أفضل مما أُعطي؛ لأنه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل مما ملكه<sup>(4)</sup>)).

4- عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((واعلموا أنه ليس على أحدٍ بعد القرآن من فاقه، ولا لأحدٍ قبل القرآن من غنى؛ فاستشّفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم<sup>(5)</sup>)). .. فإنه يُنادي مُنادٍ يوم القيامة: ألا إن كلَّ حارثٍ مُبتلى في حرثه وعاقبة

(1) نحو بناء نموذج الذخيرة اللغوية العربية في ماليزيا: 14.

(2) مستدرک الوسائل ج4 ص239 باب2 ح4595.

(3) مستدرک الوسائل ج4 ص232 باب1 ح4570.

(4) مستدرک الوسائل ج4 ص237 باب2 ح4587.

(5) اللأواء: الشدة.

عَمَلِهِ، غَيْرَ حَرْتَةِ الْقُرْآنِ؛ فَكُونُوا مِنْ حَرْتَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، وَاسْتَصْحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهَمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ<sup>(1)</sup>،  
وَاسْتَعِشُوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ<sup>(2)</sup>.

فقوله (عليه السلام): وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنَى فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى  
جدارة تبيننا اللغة القرآنية ألفاظاً وتراكيباً صغرى وكبرى لتكون ذخيرة لغوية ذات مواصفات خاصة.. قد توهل في مرحلة  
تالية أن تكون هي الذخيرة اللغوية العربية والإسلامية فيكتفى بها عن سائر اللغة. ويمكن أن تؤسس عليها قوانين وآليات  
لغوية أخرى غير تلك مكتشفة أو مفعلة.

5- ((إِسْحَاقُ بْنُ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) قَالَ قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي أَحْفَظُ الْقُرْآنَ عَلَى ظَهْرِ قَلْبِي فَأَقْرُؤُهُ  
عَلَى ظَهْرِ قَلْبِي أَفْضَلُ أَوْ أَنْظُرُ فِي الْمُصْحَفِ قَالَ فَقَالَ لِي بَلِ اقْرَأْهُ وَأَنْظُرْ فِي الْمُصْحَفِ فَهُوَ أَفْضَلُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّظَرَ  
فِي الْمُصْحَفِ عِبَادَةٌ<sup>(3)</sup>)).

يبدو أن الصيغة التدوينية للقرآن الكريم تدخل في الاعتبارات السابقة، وفي الغالب إن تأسيس العلوم والرؤى المتممقة تبدأ  
بحصر الشيء المدروس، وضبطه بالمكتوب لا بالحفظ بالصدور..

6- وقال الإمام الصادق (عليه السلام): ((إنما الشفاء في علم القرآن))<sup>(4)</sup>. وهذا الحديث يندرج فيما أشرنا إليه عن قريب.

### المبحث الثالث: علوم اللغة القرآن الكريم

من أبرز المرتكزات التي رصدناها في بيان المنهجية الجديدة في تفسير القرآن بالقرآن هي الصلة بين العربية وبين  
القرآن الكريم، ولعل المشكلة الكبرى التي تواجه المفسر تتمثل في كون عملية التفسير عملية لغوية في أساسها الأول فسعيها  
ظاهر نحو المعنى المراد ابتداءً من (الكلمة ثم الآية ثم السورة) لتحصيل المعنى الذي أراد الله تعالى إبلاغه عباده، فالتفسير

(1) اتهموا عليه آراءكم: أي إذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ.

(2) نهج البلاغة: 283. ومعاني الألفاظ مأخوذ من هذا المصدر.

(3) وسائل الشيعة ج : 6 / 204-205.

(4) بحار الأنوار ج 89 ص 102 باب 8 ح 79 ومثله: بحار الأنوار ج 59 ص 262 باب 88 ح 17.

علم يدرس الكلام (كلام الله في القرآن) للكشف عن دلالاته؛ وههنا تكمن مشكلتان:

الأولى: إنَّ التفسير عملٌ لغويّ قبل أن يكون عملاً شرعيّاً، لذا نرى أن الأولى أن ينتقل هذا الاهتمام ليكون جزءاً من الهموم اللغوية التي تقوم بها أقسام اللغة العربية، ولا يعني ذلك أن يُحصر في هذا القسم بقدر ما يعني أن تكون له آلياته اللغوية التحليلية.. وذلك احترازاً من أغلفة عقائدية، أو مسبقات مهيمنة نضجت على حساب تراجع حاكمية القرآن إلى محكوميته بأثار كثيرة يمثلها مجمل التراث السلفي. ليتم صياغة تلك العقائد على وفق النظرة المتحصلة قرانياً أولاً ثم من السنة النبوية المشرفة ثانياً.

الثانية: لقد خضع علم التفسير منذ بدايات نشأته لعلم آخر، هو علم العربية وقواعده، والمشكلة في ذلك أنّ العلم اللغويّ تمّ سوقه على نحو جعل من كلام العرب، ولا سيّما الشعر مادة هذا العلم الأساسية؛ فلم نجد ما كان يُتوقع من هذا العلم الذي نشأ في البيئة القرآنية وعلى يد تلامذة القرآن، ولا سيّما مؤسسه الأول أمير المؤمنين (عليه السلام) من تنسّمه الطبيعة اللغوية القرآنية؛ بل وجدنا التحوين قد أصدرها أحكاماً معيارية مضادة للاستعمال القرآني.. ولو سلمنا بصحة توجهه هذا العلم فلا ينبغي أن تغيب عنّا طبيعته الخاصة الملبية لطبيعة الاستعمال البشريّ للغة في الأساس، ومن ذلك قبوله بمساحة واسعة لتعدّد وجهات النظر في فهم الكلام؛ ولا ضيرَ من اختلافها وتعارضها بحسب علماء هذا النحو البارزين، وقد عبّر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) (رحمه الله تعالى) عن ذلك عندما سُئل عن العلل التي يمثّل بها في النحو؛ ((قال: إنّ العرب نطقت على سجيّتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها عله.. فمتّلي في ذلك مثّل رجلٍ حكيم دخل داراً محكمة البناء؛ عجيبة النظم والأقسام؛ وقد صت عنده حكمة بانيتها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها، قال: إنما فعل هذا هكذا لعلّة كذاو كذا، ولسبب كذا وكذا؛ سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك؛ إلا أنّ ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علّة لذلك، فإن سنح لغيري علّة لما علّته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها<sup>(1)</sup>)).

وعلى ما تمّ نرى أنّ النماذج اللغوية التي قدّمها القرآن الكريم وهي محطّ التحديّ والإعجاز جرى التّعامل معها

(1) الإيضاح في علل النحو: 65-66.

ككلام العرب، فتم إخضاعها لآليات التفسير النحويّ نفسها التي خضع لها كلام العرب، على النحو الذي وجدناه في أوائل التّوجهات اللغويّة في فهم القرآن وقول ابن عباس مشهور في هذا الجانب بإحالتها إلى الشعر الجاهلي، عندما يعرض لهم من القرآن ما لا يفهمونه. وأغلب ذلك على مستوى الألفاظ لا التراكيب ومنها سؤالات نافع ابن الأزرق.

ومن ذلك ما ذكره سيبويه بقوله: ((وأما قوله تعالى جدّه: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ !، و﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فإنه لا ينبغي أن تقول إنه دعاءٌ هنا لأنّ الكلام بذلك قبيح، واللفظ به قبيح ولكنّ العباد إنّما كلّموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون... ومثله ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ فإنما أجرى هذا على كلام العباد وبه أنزل القرآن<sup>(1)</sup>.

يعني ذلك أنّ كلام الله قد فهم في ظلّ قواعد لغويّة، ومعجميّة، وصرفيّة، وصوتيّة، ولهجيّة، وبلاغيّة، ممّا تعارف في لغة العرب.. وهو أمر أضحى من بديهيات النظر اللغويّ أو القرآنيّ مع أنّ ذلك اقتضى أن يصاحب فهمنا للغة القرآنية كلّ ما ينال كلام العرب من التسامح في كل مستويات اللغة والسّرعَة والأداء الذي يدخل فيه جانب غير لغويّ (أعني المقام)، ما يسمح بتغييرات عدة على البنية الأساسيّة للكلام، وعدم العناية بجوانب سياقيّة لغويّة مهمّة.

ثمّ أضحى الميل للتوجّه القاعديّ مهيمناً وبديلاً عن التوجّه السياقيّ أو الدلاليّ. وجرى اقتطاع أغلب الشواهد من سياقاتها اللغويّة أو المقاميّة، حتى أضحى نحو العربيّة نحواً جملياً لا نحواً نصياً كالحال الذي يتّسم به النحو القرآنيّ.

يضاف إلى كلّ ذلك ما عرفته اللغة العربيّة عند أصحابها من عيوب شملت القواعد، كالنقص في الاستقراء، وشوائب المنافسة، ونحو ذلك من العيوب ما لا ينسجم مع القرآن وما وصف به نفسه، وهدفه لهداية البشر، وهو كلام الله المتعالي عن أي عيب.

ولا تبدو نظرتهم هنا بعيدة الصلة عمّا اشتهر من عزوف أو منع النحويّين عن الاستشهاد بكلام أفصح من نطق بعربيّتهم، وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي كان الصحابة يتعجبون من منطقه وفصاحته من نحو ما ذكره ابن الأثير في مقدّمة كتابه غريب الحديث:

(1) كتاب سيبويه 1/332.

((وقد عرفت - أيدك الله وإيانا بلطفه وتوفيقه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أفصح العرب لساناً وأوضحهم بياناً. وأدعّبهم نطقاً وأسدّهم لفظاً. وأبينهم لهجة وأقومهم حجة. وأعرّفهم بمواقع الخطاب وأهداهم إلى طرق الصواب. تأييداً إلهياً ولطفاً سماوياً. وعنايةً ربّانية ورعايةً روحانية حتى لقد قال له عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه - وسمعه يخاطب وقد بنى نهد: يا رسول الله نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال: "أدبني ربّي فأحسن تأديبي وزيّت في بني سعد". فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يخاطب العرب على اختلاف شُعبهم وقبائلهم وتباين بُطونهم وأفخاذهم وفصائلهم، كلاً منهم بما يفهمون ويحدثهم بما يعلمون. ولهذا قال - صدّق الله قوله: "أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم" فكان الله عزّ وجل قد أعلمه ما لم يكن يعلمه غيره من بني أبيه، وجمع فيه من المعارف ما تفرّق ولم يوجد في قاصي العرب ودانيه. وكان أصحابه رضي الله عنهم ومن يقدر عليه من العرب يعرفون أكثر ما يقوله وما جهلوه سألوه عنه فيوضحه لهم))<sup>(1)</sup>.

أمثل هذا يترك؟!، فما هذا الجفاء وما هذا المسلك الغريب ممن يدعي إتباعه والسير على سنته، وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب، الآية: 21)، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجمعة، الآيتين: 2-3).

فتعليم الكتاب والحكمة متلازم مع تعليمهم أرقى الأساليب الكلامية والنظم التعبيرية. وجزء من التأسى به (صلى الله عليه وآله) أن نتأسى بكلامه وطرائق تعبيره. فعجباً كل العجب ممّا حصل. بل وصل الحال إلى منع تداول الأحاديث ووصفها بما يُستشنع فقد ذكر ابن سعد في طبقاته في ترجمة القاسم بن محمد بن أبي بكر من قول القاسم: ((إنّ الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فناشد الناس أن يأتيوه بها، فلما أتوه بها أمر بتحريقها، ثم قال: مثناة كمتناة أهل الكتاب))<sup>(2)</sup>.

عموماً بالنظر إلى تبعة علم التفسير لعلم العربية نرى أنه سلك بهذا مسلك علوم العربية من الأخذ والرأي، والخلاف

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر: 1/ 3.

(2) طبقات ابن سعد: 188/5.

والتعارض، والنقص، وغير ذلك؛ حتى أن ما كُتِبَ في إعجاز القرآن البياني، لم يكن بعيداً عن هذه التبعية.

ولو عدنا إلى قواعد التفسير، وهي المعول عليها في فهم القرآن وعلومه لوجدنا أنه تم صياغتها في عصور ماضية، وما زالت كما هي منذ ذلك الحين ف ((لا تزال القواعد التي تحكم تفسير القرآن الكريم هي تلك التي دونها الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، والسيوطي في (الإتقان في علوم القرآن)؛ ولم تجر تعديلات أساسية على تلك القواعد فضلاً عن تأسيس اعتبارات جديدة يمكن النفاذ من خلالها إلى النص، وتكوين فهم أعمق))<sup>(1)</sup>. ولم يُتعرَّض إلى إعادة صياغتها أو النظر في مدى صلاحيتها للبقاء. وهكذا فقد ظلت إفاداتنا من القرآن الكريم على وفق تلك القواعد.

### النحو القرآني:

وفي مجال همنا وهنا وهو إبراز فرادة العربية التي نسجها القرآن من ألفاظ وتركيبات، حاولت بعض التوجهات المعاصرة وضع تصوّر قد يعطي الاستعمال القرآني حظوة جيدة، ولا سيما في مستوى ما اصطَلَحوا عليه بالنحو القرآني، ووصفه بعض المنظرين بأنه نظرية<sup>(2)</sup>. ويُعد د. عبد الستار الجواري، ود. مكي الأنصاري، ود. عبد العال سالم مكرم من أبرز المنظرين الداعين إلى ذلك فالقرآن الكريم كما يرى الجواري: ((وتراكيبه وأساليبه هي الأصل الذي يستأهل أن تقوم عليه دراسة التراكيب العربية والأساليب العربية))<sup>(3)</sup>. وهذه الفكرة تقوم اعتماد تلك الأساليب، ويبدو أنها توظفها لتطوير الأداء بالعربية عموماً، وهي فكرة لها بعض الصلات القديمة عند العلماء فقد ذهب الفراء إلى القول: ((والكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر))<sup>(4)</sup>.

ورأى د. الجواري أنه: ((كان خليقاً بمن وضعوا النحو وأسسوا قواعده أن تكون المادة القرآنية أهم ما يقيمون عليه تلك القواعد ويستندون إليه في وضع النحو؛ لأن أسلوب القرآن وتركيبه مبرأ من الضرورات والشواذ التي حفل بها الشعر،

(1) الأفهوم القرآني ونظريات تشكّل الخطاب: 41 (مجلة الحياة الطيبة).

(2) وقد أطلق تسمية النظرية د. أحمد مكي الأنصاري على كتابه تسمية: نظرية النحو القرآني، علماً أنه لم يكن مقتصراً في دعوته على ما في القرآن الكريم بل يشمل ما صحّ من الحديث النبوي، وما وثق من كلام العرب شعراً ونثراً. ينظر أيضاً بحث: قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني للدكتور أحمد مكي الأنصاري. محمد حسن عواد.

(3) نحو القرآن: 7.

(4) معاني القرآن للفراء 1/ 14.

وامتلاً بها غريب اللغة الذي استندوا إليه بلا اعتدال ولا قصد<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من الدعوة هذه التي خطا فيها الدكتور الجوّاري خطوة رائعة بإخراج كتابه (نحو القرآن) وكذا كل من د. مكي الأنصاري ود. عبد العال سالم مكرم إلا أنّ السّاحة العلميّة لم تشهد توظيفاً لخطوته أو تطويراً لها، وما أحدثاه يكن مقتصرًا على القرآن الكريم، بل توسّعا فيه إلى القراءات القرآنية (التي كُنّرت في شواهدهما) والحديث والنثر والشعر من كلام العرب، فلم يقتصر رصدهما على المفهوم من النحو القرآني. ولقد عُنيَتْ بوقفه تفصيليّة عند مقولات مؤسسيّ النّحو القرآنيّ هؤلاء<sup>(2)</sup>، ولم نجد عندهم ما يكون مصداقا للمفهوم من النّحو القرآنيّ، خلا ما بذله الدكتور الجوّاري ليكونَ تعلق عمله بالقرآن حصراً، لكنّ ذلك لم يكن في ضوء منهج أو رؤية خاصّة سوى اعتماد أساليب القرآن وتراكيبه كما سبق.

ونحن نقرن القول بالنّحو القرآنيّ بتفسير القرآن الكريم، وأن يكون تفسيراً للقرآن بالقرآن عبر (منهج المدوّنة المغلّقة) على وفق المسارات التي تؤهّله أن يكون نحواً قرآنيّاً خالصاً، ولا يقتصر عملنا كما سيّضح على هذا المستوى من الدّراسة اللغويّة، بل يشمل المستويات: الأصوات والصّرف والنّحو، والدّلالة والنّصّ والبلاغة. وقد قال الدكتور غالب المطلبيّ في تقديمه لكتاب منهج المدوّنة المغلّقة: ((إنّ من فوائد هذا الضّرب من المنهج أنّه يجمع بين طرائق الاستعمال والتّركيب والدّلالة في مبحث واحد، فكأنّه في ذلك يميز علماً لغويّاً قرآنيّاً قائماً بنفسه متميّزاً من غيره من علوم العربيّة))<sup>(3)</sup>.

وفي هذا الصدد يُمثّل بحث الدكتور وفاء عباس فياض أول توظيف فاعل لإقامة نحو قرآنيّ عبر ما تمّ تناولته في بحثها الموسوم بـ(النّحو القرآنيّ في ضوء منهج جديد المدوّنة المغلّقة)<sup>(4)</sup>. وبعد خطوتي ببحث ((النّحو القرآنيّ في ظلّال منهج المدوّنة المغلّقة)) تقدّمت خطوة أخرى ولما أفرغ من بحثي بأن طرحت الموضوع ليكون مشروعاً لأطروحة الدكتوراه التي وُسمت بـ(النّحو القرآنيّ نحو رؤية دلاليّة)<sup>(5)</sup> وقد جرت الأطروحة تحت إشرافي.. وعُنيّا فيها بصياغة النّحو

(1) نحو القرآن: 8-9.

(2) في بحثي: النّحو القرآنيّ في ظلّال منهج المدوّنة المغلّقة (غير منشور) وأطروحة الدكتوراه الموسومة (النّحو القرآنيّ نحو رؤية دلاليّة) للباحثة: هدى فاضل التي أعدت بإشرافي، ونوقشت 2021.

(3) من تقديم الدكتور غالب المطلبيّ لكتابي: منهج المدونة المغلقة مباحث تأسيسية لتفسير القرآن بالقرآن: 11.

(4) نشر البحث بمجلة الأستاذ، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، العدد 222 مج 1، 2017.

(5) أطروحة لنيل الدكتوراه في اللغة العربية في كلية التربية لعلوم الإسلامية جامعة كربلاء للباحثة هدى فاضل، ونوقشت 2021.

القرآني في ظلّ مفهوم المدونة المغلقة مستفيدين من الصّوابط العامّة لغلق المدونة بما يتناسب والبعد النّحوي للدراسة، وهي الخطوة الأولى الموسّعة التي تضمّ هذا التقنين الاصطلاحيّ للمفهوم والمنهج في النّحو القرآني، مستدركة على جهود السّابقين عدم تمثّلهم للخصوصيّة القرآنيّة، وبالأحرى عدم تجاوزهم الرّؤية المنهجية المعهودة للنّحو العربيّ<sup>(1)</sup>.

ونحن إذ نتوجّه إلى هذه الجهة في منهجنا لفهم القرآن الكريم والتعويل على لغته، وما استعمل فيه من كلام أفرادا وتركيبا، ليكون خطوة أولى نحو انشاء فهم جديد للقرآن الكريم.

وهو لبنة من لبنات أساسية ليكون فهم القرآن الكريم أو تفسيره تفسيراً قرآنيّاً. ولا يقتصر عملنا كما سيّضح على هذا المستوى من الدراسة اللغوية بل يشمل المستويات: الأصوات والصرف والدلالة والنص والبلاغة. كما أنّ الحال من عدم الالتفات بقوة إلى اللغة القرآنية لم يقتصر على الجوانب البيانية بل هو شامل لكل المنظومة البحثية فقهاً وأصولاً وعلم كلاً وعلوم القرآن عموماً. فقد آل الأمر إلى ابتعادها عن لغة القرآن الكريم وخصوصيتها وقد عبّر العلامة الطباطبائي عن هذا الابتعاد لقواعد علوم العربية عن لغة القرآن بقوله:

((.. أنك إن تبصرت في أمر هذه العلوم وجدت أنها نظمت تنظيمًا لا حاجة لها إلى القرآن أصلاً حتّى أنه يمكن لمتعلم أن يتعلّمها جميعاً: الصرف والنحو والبيان واللغة والحديث والزّجال والدراية والفقه والأصول فيأتي آخرها، ثم يتضلّع بها ثم يجتهد ويتمهّر فيها، وهو لم يقرأ القرآن، ولم يمس مصحفاً قطّ، فلم يبق للقرآن بحسب الحقيقة إلا التلاوة لكسب الثّواب أو اتّخاذه تميمة للأولاد تحفظهم عن طوارق الحدّثان...))<sup>(2)</sup>.

وتلك لمحة دقيقة للطباطبائي، وهو المختصّ العارف، يختصر بها طبيعة التعامل في الماضي والحاضر مع القرآن الكريم، ولغته. فالقواعد وضعت من خارج النصّ القرآنيّ؛ وقد بقيت هذه القواعد مهيمنة على عموم الحقل الخاصّ بتفسير القرآن الكريم، وقال بعض الباحثين عن مجمل القواعد المتعلّقة بالتفسير وعلوم القرآن:

- (1) أحسب أن كثيراً من النقود التي توجهت لأعمال هؤلاء أو للنحو القرآني عموماً يرتكز على عدم تقديم رؤية جديدة لهذا النحو، إذ لا يعدو عملهم إلا زيادة في الشواهد القرآنية، وجعلهم القراءات جزءاً مهماً منها.. مع تحرزهم الشديد من مخالفة النحويين. ما جعل معلم جزءاً من النحو العام للعربية.
- (2) الميزان في تفسير القرآن: 272/5.

((لا تزال القواعد التي تحكم تفسير القرآن الكريم هي تلك التي دَوَّنَهَا الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، والسيوطي في (الإتقان في علوم القرآن)؛ ولم تجر تعديلات أساسية على تلك القواعد فضلاً عن تأسيس اعتبارات جديدة يمكن النفاذ من خلالها إلى النص، وتكوين فهم أعمق))<sup>(1)</sup>.

فعلى الرغم من كل السنوات المتمدة لم يحدث تطوير في آليات النظر الى مفاهيم القرآن الكريم وطرائق فهمه، إلا شيئاً يسيراً يمكن ملاحظته عند بعض المفسرين، وعند آخرين ممن اعتنى بدراسة لغة القرآن الكريم، ولا سيما في أقسام اللغة العربية.

### الخاتمة:

أظهر البحث أن العصر الأول لنزول القرآن الكريم كان قد عرف أن ما جاء به القرآن الكريم من نسيج العربية له خصوصيته وأنه يمتاز عما كانوا يتداولونه وكان ظهور هذا مصطلح (عربية القرآن) واضحاً في الدلالة على ذلك.

1- غياب هذا المصطلح في الحقب التالية يصور لنا اندثار لهذا المفهوم وتغلباً للعربية العامة على اللغة القرآنية وفهم الأخيرة في ضوءها.

2- إن ظهور هذا المصطلح في العصر الأول وإبراده في الجوامع الحديث يؤكد جدارة الدعوة إلى تفعيل (تفسير القرآن بالقرآن) عبر مبدأ الغلق الذي يقترحه منهجنا.

3- تأكيد الدعوة إلى اشتراح علوم متصلة بهذه اللغة الخاصة تأخذ على عاتقها الكشف عن آليات وقوانين مستوياتها اللغوية وطرائق الحصول على مقاصدها. وإعادة وصف النحو القرآني وغيره من علوم اللغة (الأصوات القرآنية، والصرف القرآني وعلم اللغة القرآني، والبلاغة القرآنية، وعلم النص القرآني).

4- ينبغي أن يكون التفسير مساحة لتجمع ثمرات هذه العلوم القرآنية، وتوظيفها معا فيجمع بين طرائق الاستعمال والتكريب والدلالة في مبحث واحد، ليميز علماً لغوياً قرآنياً قائماً بنفسه متميزاً من غيره من علوم العربية.

(1) الأفيوم القرآني ونظريات تشكل الخطاب: 41 (مجلة الحياة الطيبة).

## المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

- 1- أصول التفسير والتأويل، كمال الحيدري، دار فراق، مطبعة أستانة، إيران، الطبعة الثانية 1427هـ-2006م.
- 2- الأفهوم القرآني ونظريات تشكّل الخطاب: محمد مصطفى، مجلة الحياة الطّيبية، العدد 13 السنة 4، 2003م-1424هـ.
- 3- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: 328هـ) المحقق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1390هـ - 1971م.
- 4- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي (ت337هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار النفائس، مؤسسة مطابع معتوق، بيروت، الطبعة الأولى، 1393هـ-1973م.
- 5- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة 2، 1403هـ-1983م.
- 6- التحرير والتتوير «تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، 1984هـ.
- 7- التفسير والمفسرون بثوبه القشيب، محمّد هادي معرفة، الجامعة الرضويّة للعلوم الاسلامية، مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية، إيران، الطبعة 2، 1425هـ-1383هـش.
- 8- جامع الصحيحين بحذف المعاد والطرق، أبو نعيم الحداد عبيد الله بن الحسن بن أحمد الأصبهاني (517هـ)، المحقق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، الطبعة الأولى، 1431هـ-2010م.
- 9- السّاعة في القرآن الكريم دراسة دلاليّة في ضوء منهج المدوّنة المُعلّقة، د. حسن عبد الغني الأسديّ، مجلة كلية التربية عدد خاص بالمؤتمر العلمي الثامن عشر لكلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2011م. (ص11-23) ونشر بمجلة والقلم ع24س2012م (ص24-34).
- 10- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1401هـ-1981م.

- 11- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1968م.
- 12- عدة الداعي ونجاح الساعي، ابن فهد الحلبي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى 1407 هـ.
- 13- عربية القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن \_ مجلة تدبر - العدد التاسع = السنة الخامسة-2020.
- 14- قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني للدكتور أحمد مكي الأنصاري. محمد حسن عواد. المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج7 ع1/أ، 1432 هـ -2011م.
- 15- الكافي / ثقة الإسلام الكليني (ت329هـ)، الناشر: دار الكتب الإسلامية طهران الطبعة: الرابعة، 1365 هـ. ش.
- 16- كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت322هـ) تحقيق: حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي، مركز الدراسات والبحوث اليمني/ الطبعة الأولى 1415 هـ 1994م.
- 17- كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (ت185هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب للطباعة والتوزيع، بيروت، د.ت.
- 18- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، العلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت975هـ)، ضبطه وفسر غريبه وصححه ووضع فهرسه، الشيخ بكري حيان، والشيخ صفوة السفا، مؤسسة الرسالة 1409هـ-1989م.
- 19- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي المتوفى سنة 1320 هـ، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان، 1408هـ-1987م.
- 20- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001م.
- 21- معاني الأخبار، الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت381هـ)، تصحيح علي أكبر الغفاري، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1399هـ-1979م.
- 22- المفهوم التكويني لنظرية العامل النحوي عند سيبويه، تحليل وتوجيه/ أ.د. غالب المطليبي ود. حسن عبد الغني الأسدي/

مجلة المورد العراقية/ع3 / 1999م.

- 23- مفهوم الجملة عند سيبويه: د. حسن عبد الغني الأسدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2007م.
- 24- منهج المدونة المغلقة مباحث تأسيسية لتفسير القرآن بالقرآن، مطبعة الرافد، قم المقدسة، 2017م.
- 25- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ-1997م.
- 26- نحو بناء نموذج الذخيرة اللغوية العربية في ماليزيا، أسوندي بن لامن ياشيم رسالة ماجستير بكلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية، 2009م.
- 27- نحو القرآن، د. عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1394هـ-1974م.
- 28- النحو القرآني في ضوء منهج جديد المدونة المغلقة بمجلة الأستاذ، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، العدد 222 مج1، 2017م.
- 29- النحو القرآني في ظلال منهج المدونة المغلقة د. حسن عبد الغني الأسدي (غير منشور)
- 30- النحو القرآني نحو رؤية دلالية هدى فاضل أطروحة الدكتوراه قدمت الى كلية التربية للعلوم الإنسانية إشراف أ.د. حسن عبد الغني الأسدي، 2021م.
- 31- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري مجد الدين ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م
- 32- نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، تحقيق هاشم فاضل الميلاني، الناشر العتبة الحيدرية المقدسة، العراق، 2010م.
- 33- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، إيران، الطبعة الأولى، 1409هـ.